المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعة سيدي بلعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلد 16 -- العدد 02 -- ديسمبر 2024 ص 444 - 465

نحو إعادة بناء تعريف دور الفلسفة في إطار التواصل (الرهانات والممكنات)

Towards a reconstruction of the definition of philosophy's Role in communication: stakes and possibilities

رحماني علي - طالب دكتوره Alirahmani.phd@univ-biskra.dz	فلسفة عامة	مخبر المسألة التربوية في ضل التحديات الراهنة -بسكرة - الجزائر
حمدي لكحل - أستاذ محاضر أ Hamdi.lakhel@univ-biskra.dz	فلسفة عامة	مخبر المسألة التربوية في ضل التحديات الراهنة -بسكرة - الجزائر

DOI :

الإرسال: 2024/10/12 **القبول**: 2024/11/14 **النشر**: 2024/12/20

ملخص:

عمل هابرماس على تخليص الانسان من الايديولوجيا وذلك بإبداله فلسفة الوعي والذات بفلسفة المجتمع والتواصل وذلك باسقاط المعرفة الكليانية التأملية وتأسيس معرفة مربوطة بالمصالح قائلا بالتذاوت

تهدف الاطروحة لتصبح الفلسفة تعبير عن وضعية اجتماعية فدورها اجتماعي لاذاتي والنظر الفلسفي شرطه تعدد التخصصات وهي تتقاطع مع العلوم الاجتماعية فرهان الفلسفة تاسيس عقلنة تواصلية تحل محل فلسفة التاريخ اما ممكن الفلسفة فهو محاكمة العقل من خلال انتقاد العقلانية على ان تكون الفلسفة منفتحة ودورها توسطي.

كلمات مفتاحية: الفلسفة، التواصل، الراهن، الممكن.

Abstract:

Habermas worked to liberate humanity from ideology by replacing the philosophy of consciousness and self with a philosophy of society and communication. He aimed to discard totalizing reflective knowledge and establish knowledge linked to interests, advocating for intersubjectivity.

The thesis aims for philosophy to become an expression of a social situation, emphasizing its social rather than individual role. Philosophical inquiry requires a plurality of disciplines and intersects with social sciences. The challenge for philosophy is to establish a communicative rationality to replace the philosophy of history. The potential of philosophy lies in the critique of rationality, ensuring that it remains open and plays a mediating role

Keywords : philosophy, communication, mortgage, possible

مقدمة

شكل تعريف الفلسفة إشكالية فلسفية كون السؤال ماهي الفلسفة لازال يعد سؤالا فلسفيا يبحث فيه عن ماهية الفلسفة فلقد تعددت التعريفات المعرفة للفلسفة بحسب العصر والبيئة والثقافة والتربية وحسب ذات الفيلسوف حتى اعتبر هذا الإختلاف إشكالية فلسفية يمكن لنا الخوض فيها في إطار واحد هو اطار التواصل فتعريف الفلسفة بأنها تواصلية بحكم ان التواصل الحق هو أساس الوجود الإنساني الفعلي حسب الطرح الوجودي وهذا التواصل يقتضي مقومات المرسل صاحب الخطاب او الرسالة والمرسل اليه المتلقي والشيفرة او اللغة الحوارية المعيارية الساعية للتفاهم داخل الفضاء العمومي اليومي المعاش سواء داخل الدولة الواحدة او بين الدول في تأسيس فلسفة علمية واقعية أساسها الخطاب اللغوي الحقيقي والصادق والمعياري لتكون بذلك الفلسفة إمكانية للعيش المشترك لها رهاناتها المرتهنة بها المواكبة لحاضرها المتغيير بتغيير هذا الواقع الآني والجزئي بتفاصيله هذا الأمر نجده مجسدا أكثر في الفكر الغربي المعاصر وفلاسفتها المحدثين في إعادة تعريف الفلسفة ودورها وقبل ذلك تحدث عنها الفلاسفة الغربيون بنوع من المثالية واليوتوبيا والترانسدنتالية لتجددهذا الطرح عند بعض فلاسفة الغرب كهابرماس الفيلسوف الألماني فيلسوف الجمهورية الألمانية لنبتعد عن طرحه اليوتوبي والمثالي هذا الوجهة السلبية لنركز على الوجهة الايجابية لطرح التواصل في إطار الفاعلية التواصلية كوظيفة تؤدي غرضها أداتيا. وهذا من أجل تخليص الإنسان المعاصر من تشيئه وغربته. والعمل على تحريره من قلقه وتوتره الذي يعيشه نتيجة الفراغ الرهيب الذي يعانيه جراء الفجوة التي عملتها التقنية وذلك بتطورها وفراغ مدلولها الروحي، فاصبح الإنسان الغربي يعاني التعاسة حتى شكك في قيمة الفلسفة وابدلتها النزعة الوضعية بالعلم والتقنية فلقد جاء يورغن هابرماس بفلسفة المجتمع والتواصل ليبدل فلسفة الذات أو الوعي وهذا لتخليص الإنسان من الإيديولوجيا ولإسقاط الفسلفة على الراهن او اليومي لوضع الممكن في الفلسفة بإسقاط الكليانية كنزعة تأملية وتأسيس معرفة مربوطة بالمصالح وان كان قد نقد فلسفة الذات لكنه قال بالتداوت كاساس لفلسفة إجتماعية مقامة في نسق لغوي معياري يخاطب الراهن اليومي مما يجعل الفلسفة حسب الطرح

الهابرماسي فلسفة واقعية تلامس الحياة العينية للإنسان مهما كانت درجة تواصله في المعاش اليومي. أفرادا وجماعات وفي خضم هذا الطرح نحاول أن نطرح

الإشكالية التالية

ماذا نقصد بالفلسفة؟ هل يمكن وضع تعريف لها يحدد دورها؟ ماهو الراهن؟ كيف يكون فعل الفلسفة وهو التفلسف مبرزا حقيقيا للوعي بالحاضر المعاش اليومي بوصفه راهنا متجدد وأين تجسد الإنتاج الفلسفي الغربي راهنا فلسفيا

هل في النقد المسقط لفلسفات تهاوت اسقطها سوط النقد الفكري بضرباته المتوالية للعقل المفكر.وهل فيلسوف اليوم له القدرة على تفكيك المعيش اليومي وقبل ذلك؟ ماهو مفهوم هذا المعيش اليومي هل هو مصدر التفلسف الفلسفي او بالآحرى.ماعلاقة الفلسفة بهذا الراهن أو بالمعيش اليومي؟ وهل الفلسفة كتواصل تحقق الدرس الفلسفي وماهي رهانات هذا الدرس وهل تعلم الفلسفة يكون بالأفكار والمضامين أم يكون بالتفلسف والتساؤل النقدي؟

واذا سلمنا بالطرح الأخير الممكن بأدوات التفلسف الا يشكل ذلك خطرا على من نكون من طلبة على إعتبار أنهم سيتخرجون فارغي الرؤوس في الجانب والخام المعرفي؟ على حد قول هيغل.

الفلسفة وصعوبة تعريفها

الإقرار بصعوبة التعريف تعريف الفلسفة لا يمنعنا من وضع تعريف لها تحدد راهنيتها الدائمة والمتجددة فإنطلاقا من الضبط المعجمي الى حالتهما كممارسة راهنية فإننا نقول بطرح سقراط بقوله الفلسفة هي البحث العقلي عن حقائق الأشياء المؤدي الى الخير وهي تبحث عن الكائنات الطبيعية وجمال نظامها ومبادئها وعلتها الأولى (حسنية، 2012، صفحة 470) في حين أن افلاطون جعلها اشرف العلوم وغايتها المبدع الاول في قوله

"هي البحث عن حقائق الموجودات ونظامها الجميل لمعرفةالمبدع الأول ولها شرف الرئاسة على جميع العلوم". (حسنية، 2012، صفحة 470)

فإذا كانت الفلسفة بحث عقلي عن حقائق الموجودات فإنها دوما تساير عصرها وحاضرها وراهنها وتقف على مشكلاته نقدا وتمحيصا وبحثا فهي أساس العلوم فمن خلال هذا التعريف نجد أن الفلسفة مواكبة للتطور المذهل في العلوم الطبيعية التي يبدو حاليا أنها أزاحت دورها الريادي قديما. فهل تراجعت الفلسفة عن دورها أم أنها مجرد إعلان عن نهاية المشكلات التقليدية للفلسفة ومنعت الفلسفة عن نفسها طغيان هذه المشكلات على الفلسفات المعاصرة او الفلسفة المعاصرة.

وعلى هذا الأساس نجد معاصري العصر الراهن من فلاسفة الحداثة أو ما بعد الحداثة كتيار او مدرسة فرانكفورت بمختلف زعمائها المشهورين كهوركهايمر وادرنو وماركوز واريك فروم يقرون بصعوبة تعريف الفلسفة من خلال مشاكلها التي تطرحها لكونها بقيت بغير ذات موضوع ودلك منذ أن إمتلكت العلوم التجربية والإنسانية موضوعاتها بقيت الفلسفة هي تساؤل عن الإنسان والمجتمع والطبيعة والتاريخ قول لايصمد أمام الملاحظة لأن للإنسان علومه، وللمجتمع علومه وللتاريخ مباحثه فماذا بقى إذن للفلسفة (أفاية، 1998، صفحة 19).

فقدانها للموضوع باستغلال العلوم عنها تجعلها ليست علما بل مجرد تجميع للوقائع ضمن منظومة منسجمة وهي ابنة او وليدة زمنها يقول هيغل "فإنهابقدر ما تسعى الى التقاط تفاصيل اللحظة بقدر "ما ترتبط بالنصوص فما يميز فلسفة عن أخرى هو نمط سؤالها وقدرتها على ابداع المفاهيم او استعمال المبدع لها (أفاية، 1998، صفحة 19)

وهذا هوركهايمر أحد أساتذة مدرسة فرانكفورت يقر بصعوبة تعريفها وذلك لكشفها عن سبل التقدم الذي ترسمه الضروات المنطقية والواقعية وعليه "ليس هناك

طريق نحو التعريف لأن الفلسفة عبارة عن مجهودات لتنسيق كلية معارفنا وأفكارنا داخل بنية لغوية فخلق النسقية هو انغلاق عن العالم. (أفاية، 1998، صفحة 20)

فهذا هربرت ماركوز يعرف الفلسفة بأنها نمط من الوجود الإنساني فهي تتكون داخل هدا النشاط الانساني ولهذا فهي تقترن بالراهنية العينية العملية والواقعية الملموسة.

"إنها تعبير عن موقف أساسي إزاء الكائن والموجود وفيه تعتبر وضعية إجتماعية عن نفسها بكل وضوح". (أفاية، 1998، صفحة 21) فالدور انتقل من كونه نابع من الذات كفلسفة إلى كونها ذات طابع إجتماعي نقدي نقدا جذريا دون أن يلغي الفلسفة أصلا.وطالب الفرانكفوريين بتداخل الإختصاصات كشرط ضروري في النظر الفلسفي وعلى الفلسفة أن تدمج إجتهادات الإقتصاديين والمؤرخين وعلماء النفس وغيرهم في سياقة أسئلتها فظهرت الفلسفة نقدية ساعية، لنقد العائلةوالسلطة، ناقدة للفاشية وآليات السيطرة في الثقافة ونقد مؤسسات السياسة التوتاليتارية ونقد المتن التاريخي الألماني (أفاية، 1998، صفحة 18) بإعتبارها مدرسة ألمانية النشأة.

وعلى عادة زعماء مدرسة فرانكفوت الذين إبتدأوا بالنقد لينتهوا بنوع من الإلتزام العضوي للقضايا التي بشروا بها فإن هابرماس وهو أحد أعضاء مدرسة فرانكفورت أحد ممثليها من الجيل الثاني يعرف الفلسفة "وهي الفكر مابعد الميتافيزيقى الذي تخلى عن حلم الفلاسفة التقليديين في عرض أنموذج كوني اكرامي للخير المشترك وعوضه بالبحث عن وعي جديد ومجذر بالزمان يساعد الحداثة على أن تعيد هيكلة نفسها " (هابرماس ي.، د.س، صفحة 26)

يبدو أن هابرماس ربط الفلسفة بالزمان والحداثة التي تحدث وتجدد حالها من وقت الي أخر، فهي راهنية خصوصا وأنها في الوقت الحالي عنده تدافع عن الحداثة وعن العقل بل وتوجهه توجه سهامها للتيارات الما بعد حداثية.

فالتفكير في هوية الحداثة ومصالحتها مع نفسها مهمة الفلسفة ويوزن هذا الأمر بأن يكون الفهم عملا منهجيا وفنيا، مما يعني أن الفعل التواصلي هو عمل تأويلي من نوع غير تقليدي إنه يعيد بناء مانفهمه ولكن في ضوء ماتشخصه العلوم الاجتماعية وهذا يعني أننا لا نتواصل إلا حين نؤول.

فالتأويل يثبت موضوعية الفهم فلا تأويل دون مفترضات عقلانية حسب هابرماس فحسب منوال المجتمع الذي نعيش فيه (هابرماس ي.، د.س، صفحة 27) من خلال صناعته لنظرية إجتماعية تواصلية قائمة على التفاهم وعلى العقل التواصلي هادفة لنظرية اجتماعية سياسية تمحص أمراض المجتمع.

سعى هابرماس في تأكيده على مشروعه نظرية نقدية إجتماعية لوضع قواعد إجتماعوسياسية تحاول معالجة أمراض المجتمع وذلك بالعقلنة الموجودة داخل التفاهم اللغوي وهو هنا متأثر بماكس فيبر حيث أعاد بناء العقلنة الفلسفية بإدخال الفاعلية التواصلية لإبراز الأسس المعيارية لنظريته النقدية للمجتمع وذلك بإحلال نظرية النشاط التواصلي محل فلسفة التاريخ. (المحمداوي، 2015، صفحة 215)

وهنا نجد هابرماس رغم دفاعه عن الحداثة بواسطة البعد التواصلي في العقلنة وتنظيم حركات الحداثة حسب معايير أخلاقية يسميها هو الأخلاق التواصلية تقتضي منه الاهتمام بالعلوم الاجتماعية لبناء نظرية ذات توجه نقدي مجتمعي وذلك بإعادة تحديد دور الفلسفة داخل الفهم الحديث للزمن واللغة الحقيقة فمفهوم العقلانية التواصلية الموجود داخل الممارسة اللسانية يستدعي من الفلسفة القيام بعمل نسقي فالعلوم الاجتماعية قادرة على نسخ علاقات تعاون مع فلسفة تساهم في نظرية العقلنة (المحمداوي، 2015، صفحة 216)

الفن والنقد والقانون الوضعي والعلم الحديث تحولات ابستمولوجية حدثت دون تدخل الفلسفة لكن هابرماس وضد النزوع الوضعي يؤكد "أنه يتعين على العلم والأخلاق

والفن أن يتواصلوا فيما بينهم لأنه بتفاعلهم يمكن الحديث عن نظرية للمجتمع. وعن دور محدد للفلسفة وذلك بإنفتاح الفلسفة على زمنها في المجالات المعرفية كاللسانيات وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم سياسة وهذا بهدف صياغة النظرية النقدية الجديدة للكشف عن الأمراض المستجدة للحداثة (المحمداوي، 2015، صفحة 217) وهنا تظهر راهنية الفلسفة المعبرة عن النظرية التواصلية الخصبة حسبه عكس فلسفة التاريخ الفاشلة والمنغلقة. وهذا بشرط تقاطع الفلسفة مع العلوم الاجتماعية.

وفي هذا تأكيد هابرماس على النظرية الاجتماعية للحقيقية وهذا هو رهان الفلسفة الآخر. (المحمداوي، 2015، صفحة 217)

بالإضافة الى أن رهانه الجماعي الحقيقية في الزمن الحديث الذي نعيشه على إعتبار أنه يصنف آخر فيلسوف حداثي مدافع صارم عنها.

يؤكد على أربعة قضايا هي رهان الفلسفة عنده وهي قضايا مركزية عنده

1. نظرية العقلنة المؤدية لعقلنة تواصلية.
2. نظرية النشاط التواصلي والمتعلقة بنمط البرهنة الموجهة نحو التفاهم.
3. نظرية الحداثة إعتمادا على نظرية التواصل.
4. نظرية تطوير المجتمع بما فيها جميع نظريات الأنظمة والممارسة. (المحمداوي، 2015، صفحة 219)

كل هذا في وقت، يشكك في إنهيار العقل وتحطمه فكيف ينظر للعقلنة ونحن نعيش راهنية فلسفية أخرى بتياراتها المتعددة من تفكيكية وبنيوية أو مايعرف إختصار بتيارات مابعد الحداثة الرافضة للعقلنة.

هذه التيارات تصدى لها هابرماس بالنقد تيارات مابعد الحداثة، كراهنية فلسفية تؤمن بالتفكيك والتشظي عن طريق التواصل.

تعريف التواصل

عبارة عن علاقة حوارية حرة بين فئات المجتمع المتعددة والمتباينة إيديولوجيا وطبقيا علاقة تتوخى بناء وعي بمنأى عن ضغط المؤسسسات والأجهزة، ويهدف هابرماس من التواصل الى كشف الإيديواوجيا والتفاوت الطبقي عبر وساطة العقل التحرري النقدي المظهر للتذاوت بين طرفين وأكثر. (المحمداوي، 2015، صفحة 186)

يظهر من هذا التواصل معرفة تفاعلية لأشخاص مسؤولين يعترفون ببعضهم البعض وتحكمهم في تواصلهم الحجة الأفضل والأقوى في البرهان.

وهذا هو رهان الفلسفة الراهن، تحقيق التواصل كإمكانية معيارية تتوخى الحقيقة والصدق. والمعيارية والمعقولية هذه الأخيرة هي أساس العقلانيات التي تبناها هابرماس ومنها العقلنة التكنولوجية التي حلت محل الإيديولوجيا التقنية فهو هرب من الايديولوجياليسقط في بئر الإيديولوجيا التقنية المتولدة عن العقلنة التكنولوجية وفي هذا فهو يعرف العقل :" بأن جعل له مكانة خاصة ويحدده بإنتاج المعرفة خاصة بعالم معين له نتائجه المعتمد عليها إلا أنه ينتقد إيجاده لنوع من الإيديولوجيا التقنية التي بدأت تحل محل الإيديولوجيا السياسية والإقتصادية فالإيديولوجيا التقنية العلمية قد انتجت بسبب التطرف الوضعي الذي أعطى الفرادة في تملك الحقيقة للعلم. (المحمداوي، 2015، صفحة 167)

فالممكن في الفلسفة في الوقت الراهن محاكمة العقل بإنتقاده في صناعة عقلنة تكنولوجية هي بمثابة إيديولوجيا مسيطرة على الإنسان وهذه المحاكمة للعقل لا تخرج عن إطار النظرية النقدية الإجتماعية وهي تشبه محاكمة إيمانويل كانظ للعقل، بإعتبار هابرماس كانطي النزعة لإيمانية بالشروط الترانساندنتالية للمعرفة كما أن الممكن في الفلسفة يختلف من فيلسوف الى آخر فهذا كانط ايمانويل 1724-1804 فيلسوف نقدي ألماني قال بإمكانية التفلسف وهو الممكن في الفلسفة وهو ما يمكن أن يتعلم فنحن لا نعلم الفلسفة وإنما نتعلم التفلسف في حين صديقه الألماني الأخر فريديربك هيغل فإن الممكن في الفلسفة هو تعلم مضامين وأفكار الفلسفة لا التفلسف وهذه إستراتيجية هيغلية في عملية تدريس الفلسفة في المدارس الالمانية طبعا، وعليه ينبغي تدريس الفلسفة من خلال

تاريخ الفلسفة لكي تشبع نهم المتمدرسين المتعطشين للمعرفة وهذه مسؤولية المكونين. وهذا رهان جديد وقديم للفلسفة طرحه الفلاسفة منذ أفلاطون ضمن مقولات النضج الفلسفي والسن المناسب لممارسة الفلسفة وإن كان الراهن اليومي يتحدث عن الفلسفة للأطفال وإن كنت أرى أن هذا الأمر هو مجرد حلم الفلاسفة غير قابل لتحقيق على الأقل عندنا نحن كحضارة عربية إسلامية لجملة عوائق تتعلق بالموروث الديني الروحي والنظرة الاجتماعية للفلسفة سياسيا وحتى دينيا. وهي المشككة في قيمتها ودورها. فالتواصل المشوه الذي جعل هذه النظرة نتشربها كليا وتؤثر، في تواصل الفلسفة والممكن فيها وفي رهاناتها هو بالنسبة لنا هو هذا لأننا ببساطة لم نتخلص لحد الآن من صراع الغزالي وإبن خلدون مع ابن رشد والفارابي حول قيمة الفلسفة ودورها. والفلسفة في حد ذاتها كفكرة هي نسق مكتمل وهي كفكرة لعلم ممكن أما التفلسف فهو تخلي عن الإنغلاق والدوغمائية على حد تعبير محمد أركون وتخليصنا من الجهل. فما يمكن تعلمه هو التفلسف، والفيلسوف هو القادر على إستخدام المعارف ودمجها كأدوات لتحديد الغايات الأساسية للإنسان فتاريخيا "يجسد سقراط دعوة الفيلسوف الحقيقي على أنه إنسان عادي يعيش في المجتمع ولا يهرب منه، يتحمل مسؤولياته على أكمل وجه ويبقى يقظا مما يساعده على رؤية الأمور بوضوح خصوصا الفلسفية منها." (بيار، 2016، صفحة 51) وفي هذا تحقيق التواصل كرهان ومسؤولية إجتماعية وحتى فردية ذاتية وإن كنا نتعلم الفلسفة هنا من خلال تاريخ الفلسفة رجوعا إلي الأصل الأول، على رأي هيدغر ونيتشه. عندما شككا في القيم، كفيلسوفان منظران لما بعد الحداثة كراهن فلسفي معاش، وهذا التناقض هو راهن الفلسفة تعلما وممكنها الذي لا تحيد عنه.

"تقوم الفلسفة على البحث عن الحقيقة والحقيقة هي كل فكرة تمت برهنتها عقليا ومنطقيا فالحقيقة بالنسبة لديكارت عقلية ول هيغل مفهوم الحقيقة لا يصبح شاملا وعاما إلا إذا ولدته الفلسفة أما كانط فيرى أن الحقيقة تكمن في توافق الفكر مع غرضه أما نيتشه الحقائق هي أوهام نسينا ماهيتهافالحقيقة غير موجودة بالنسبة إليه." (مالك، 2016، صفحة 51) فالحقيقة تبقى رهان الفلسفة الدائم في إطار التواصل التذاوتي ضمن الفضاء العمومي والعالم المعاش وعليه فالراهن هو نقاشات هذا الفضاء وهذا العالم.

تعريف الراهن

راهن يراهن رهانا ومراهنة فهو مراهن والمفعول مراهن، راهن فلانا فلانا على كذا إتفقا على أن يكون للسابق أو للفائز منهما مال ونحوه فأخذه من الخاسر هذا ما ورد في معجم المعاني الجامع كما ورد فيه ايضا

راهن إسم الوقت الراهن الوقت الحاضر الظروف الراهنة الحاضرة الحالة الراهنة للمريض وضعيته الصحية التي عليها حاليا.

الوضع الراهن هو مصطلح يستخدم في سياق الإشارة إلي حالة الأمور الراهنة في مجتمع ما يقابل هذا اللفظ في اللغة الاتينية status quo غالبا مايقترن هذا المصطلح للإشارة الى الأوضاع السياسية والإجتماعية وعليه الراهن يعالج أوضاع "اليومي الفلسفي الرامي الى توجيه الأنظار إلى الراهن والحاضر والواقع والمتغير والآني والجزئي." (فاطمة، 2014، صفحة 752)

فنجد أن الراهن تقريبا نعني به اليومي لكونه أصبح موضوعا للفلسفة فهل بإمكان الفلسفة أن تصبح نمطا صارما لحياة كل يوم وفنا للعيش. وإذا كانت الفلسفة وليدة عصرها فلقد "كانت في العصور الوسطى تمارس وظيفة خادمة للاهوت فإنه يراد لها في عصر العلم أن تكون خادمة له، عبر وظيفة لغوية" (فاطمة، 2014، صفحة 752) (عبر اللغة). لكونه لا وجود للعلم أو الفكر الا في إطار لغة.

الفلسفة والراهن

هل تعكس الفلسفة الراهن كحاضر عن طريق فعلها التفلسف أم أن هذا الأخير أي التفلسف يشكل إمكانية للحاضر تقربنا من الواقائع الإنسانية بإعتبارها رغبات قابلة للتحقق داخل تجربة الحاضر لكون التفلسف رغبة تولد الفلسفة وهي مبدأ وغاية في الآن ذاته؟ بسؤال آخر هل يمكن تحقيق حلم الفلاسفة في تجسيد علم ممكن، أم أن هذا الأمر في عصر العولمة والتقنية أصبح غير ممكن المتاح هو التفلسف كرهان للحاضر فما علاقة الراهن المعيش اليومي، وهل الفلسفة كتواصل إنطلاقا من هذا البراديغم الهابرماسي

قادرة للإستجابة للرهانات والممكنات الاجتماعية وحتى المؤسسية التعليمية بمعنى هل تدريس الفلسفة يكون في الوقت الراهن بالأفكار والمضامين أم بالتفلسف والتساؤل النقدي.

الحاضر كإمكانية بين الفلسفة والتفلسف

بعيدا عن ضبط مفهوم اليومي لتعدد تعاريفه ولدلالته على الواقع الحاضر الآني المتغير دوما، يجعلنا فلاسفة مابعد الحداثة نسأل هذا السؤال، هل يملك فيلسوف اليومي القدرة على خلخلة المعيش وتفكيك اليومي وهل من الممكن أن تكون الفلسفة نمطا للعيش تعبر عن حياة كل يوم. كحاضر معاش،بتفاصيله " شهدت الفلسفة أزمة بنيوية حادة، ظهرت مع تفكيك المنظومة الإشتراكية وحرب الخليج والتطور العاصف في المعلوماتية وما بعد المعلوماتية ". (فاطمة، 2014، صفحة 753)

وبظهور العولمة وما تمخضت عنه من نهايات للتاريخ والإيديولوجيا وصراع الحضارات وتفكيك الهويات تيارات مابعد الحداثة. (فاطمة، 2014، صفحة 753)

أعادت الفلسفة النظر في الكليات وأشكله العالم ونحت المفاهيم وصناعتها على رآي جيل دولوز الذي يعتبر الفلسفة إبداع للمفاهيم، كل هذا لأجل تخليص الإنسان المعاصر من قلقه وأزمته الروحية جرّاء سيطرة التقنية والاكتشافات العلمية الرهيبة، فشكل مأزق الفلسفة وجدواها في عصر العلم، إنشغالا لتفكير في اليومي (الحاضر). الحداثة عند هابرماس مابعد الحداثة عند فلاسفها فلقد تعالت الفلسفة عن اليومي بخطابهاالكوني الشمولي " لتدخل الفلسفة في الوقت الراهن إلي أزمة عميقة تكاد معها الوصول الى الإنسداد ولتخليصها من هذا وجب التمكين للفلسفة في عقلانيتها وتاريخها وحداثتها وتنويرها" (فاطمة، 2014، صفحة 753) وهذا مافعله يورغن هابرماس من خلال دفاعه المستميت عن الحداثة في وجه أنصار مابعد الحداثة (النقاد) كهيديغر ونيتشه ففي زبدة قوله بالعقل التواصلي، محاولا إبراز العقلانية التواصلية مبرزا دور الفلسفة داخل الفهم الحديث للزمن واللغة والحقيقة، ففي مفهومه للعقل التواصلي." يعبر عن طاقة عقلية منبثة في أساس صلاحية الخطاب المؤسسة لفضيلة الإجماع والفعل التواصلي يعبر عن ذاته داخل فهم لا متمركز للعالم. (أفاية، 1998، صفحة 212)

فهذا العقل الفلسفي يلعب دورآلية، في مختلف العمليات التواصلية الممارسة داخل العوالم المعيشية اليومية من أجل إبراز التفاهم.

"ذلك أن مفهوم العقلانية التواصلية الحاضر في الممارسة اللسانية الموجهة نحو التواصل يستدعي من الفلسفة القيام بعمل نسقي فالعلوم الاجتماعية قادرة على نسج علاقات تعاون مع فلسفة تضطلع بمهمة المساهمة في نظرية للعقلنة.. فالعلم الحديث، القانون الوضعي، الفن، والنقد، تحولات استمولوجية حدثت دون تدخل الفلسفة (أفاية، 1998)"وهابرماس وضد النزوع الوضعي يؤكد على أنه يتعين على العلم والأخلاق والفن أن يتواصلو فيما بينهم لأنه بتفاعلهم يمكن الحديث عن نظرية في المجتمع وعن دور محدد للفلسفة وهذا بتفكير الفلسفة في حاضرها إنفتاحا منها على مجالات معرفية أخرى كاللسانيات وعلم الإجتماع وعلم النفس وعلم السياسة كل هذا لصياغة نظرية نقدية جديدة تكشف عن أمراض الحداثة فهذه النظرية النقدية الجديدة المسندة للفاعلية التواصلية مرنة وخصبة تراهن على تقاطع العلوم الاجتماعية مع الفلسفة فالحقيقة رهان جماعي في زمن زمنية المجتمع الحديث (أفاية، 1998، صفحة 217) ورغم تركيزه على النظرية التواصلية الاجتماعية إلا أنه يرفض الممارسة الاجتماعية الماركسية وذلك بتصوره للممارسة العقلية عقلا مجسدا في التاريخ والمجتمع والجسد واللغة. (أفاية، 1998، صفحة 213) وهنا نلمس تأثره بهيغل حينما يصر على أن التفكير الفلسفي كإمكانية حضورية خاضعا للخطاب والفعل داخل السياقات التواصلية المشترطة لإدعاءات الصلاحية والمعيارية، وهنا تتداخل المثالية أو التعالي الفلسفي المخاطب لكلية شمولية، تنشد علم ممكن كلي بحسب التعبير الكانطي مع الواقعية ضمن خزان اليومي والراهن والعوالم المعاشة، حسب التعبير الهابرماسي.

وفي سعي هابرماس لإمكان العقلنة الموجودة في التفاهم اللغوي ويبدو أنه هنا متاثر بماكس فيبر لكنه "أعاد بنائها بإدخال الفاعلية التواصلية لإبراز الأسس المعيارية لنظرية نقدية للمجتمع وهذا بإحلال نظرية النشاط التواصلي محل فلسفة التاريخ، بإدخاله للبعد التواصلي في العقلية وتنظيم حركات الحداثة وفق معايير متفق عليها بناء على أخلاق تواصلية وهذا الأمر يقتضي الاهتمام بالعلوم الاجتماعية لبناء نظرية نقدية للمجتمع." (أفاية، 1998، صفحة 215،216)

فالعقل عند هابرماس محايث للممارسة التواصلية اليومية (أفاية، 1998، صفحة 221) حيث اتخذ الفلسفة شغله الشاغل لإعتماده على أسلوب نقدي لاعادة قراءة النصوص الفلسفية للحداثة الغربية كل هذا من أجل الانتقال من فلسفة الذات والوعي، إلى فلسفة المجتمع والتواصل هذه الأخيرة حسبه هي المشكلة لليومي وفلسفته أو الراهن كحاضر وكممكن مترهن داخل النسقية الاجتماعية المعقدة."فعلى الفلسفة التوسط بين مختلف المعارف المتخصصة، التوسط بين الثقافات المتخصصة والعالم المعيش حين تتحدد القيم وتتجدد في الآن نفسه" (أفاية، 1998، صفحة 221)

وهذا هو دور الفلسفة الأساسي في النظرية الاجتماعية معتبرا أن الأخلاق التواصلية والمناقشة البرهانية في إطار هذه النظرية النقدية الاجتماعية يمكن أن يحرر الفرد والجماعة من كل أشكال الهيمنة سواء كانت تقنية أو سياسية.

فالفرد العيني هو الذي يعطي للفلسفة معناها ولهذا ركز أصحاب النظرية النقدية على دور الفرد في ممارسة الفلسفة من خلال " التبرم من كل إرادة كليانية ومن كل نزعة نسقية بوصفها تستلهم نهجا جدليا مفتوحا ذا منطق مادي فإنها تدخل في صراع مع المثالية الألمانية في تعبيرها الكانطي والهيغلي " (أفاية، 1998، صفحة 22)

فالنظرية النقدية سواء عند هابرماس في الجيل الثاني أو حتى عند ممثيليها الأوائل هوركهايمر وادورنو وماركوز وحتى إريك فروم. لم تفصل بين السوسيولوجيا والعلوم الاجتماعية عامة والفلسفة لدرجة اعتبارهم هده النظرية منبثقة من الفلسفة وهذالوجود النقد الجوهر الأساسي في الفلسفة فالمنهج نقدي من أجل الهدم والبناء والتركيب وان تحقق هذا "التركيب الذي كان منسوبا للوعي فإن العقل الذي يعبر عن نفسه داخل النشاط التواصلي يقوم بالوساطة مع التقاليد والممارسات الاجتماعية والتي تذوب في كلية خاصة" (أفاية، 1998، صفحة 215)

فلقد أكد هابرماس على دور الفلسفة باعتبارها منخرطة في المجتمع مؤكدا على علاقتها بالأبحاث التجريبية العينية فلم تعد وظيفة الفلسفة أنها الحاكم المطلق في العلم والثقافة بل تدخلت في علاقة مع العلوم الإنسانية وتاريخ العلم ومع فلسفة اللغة واللغويات التجريبية. (السعود، 2002، صفحة 33)

وذلك وصولا للعقلانية والتعقل وحراسة العقل إنطلاقا من تأمل العقل في المعرفة والكلام والفعل ووصولا كذلك للتفاهم من خلال لغة حوارية توظف فيها اللغة لحصول الاتفاق بين الدوات وبحكم إسقاطنا تعريف الفلسفة من خلال فعلها التفلسف في التواصل فإن فيلسوف الحداثة الأكبر يورغن هابرماس دافع عن الحداثة، والحداثة الفلسفية والعقل التواصلي مؤكدا على دور العقل في الفلسفة وفي العلوم الاجتماعية بإعتباره حاملا لتناقضات لعل أهمها انشغال هابرماس نفسه بما هو عقلي حيث أعتبر العقلية مسألة إجرائية وهي معرفية اداتية وعقلية تواصلية خطابها الإقناع (أفضل برهان). فهل الممكن التواصلي في الفلسفة صالح لكل السياقات وفي كل المجتمعات أم يلزمها عالم معيش معقلن محدد لكون النزعات العلموية والنفعية والوضعية إكتسحت العالم.وأثرت على تيارات مابعد الحداثة فأصبح الحديث عن اليومي المتشضي والمجزء كموضوع للفلسفة لم يقل به هابرماس وإنما قال به نقاد الحداثة فمن سمات تيارات مابعد الحداثة، سواء كانت بنيوية أوتفكيكية " إرتباطها بعلوم اللغة وعلم الدلالة والمعنى (حدث مزج بين الفلسفة والنقد). الآدبى وتقوم هذه الدراسات على المناهج النقدية والتفكيك سلبا وإيجابا.فالهرمنيوطيقا قامت على تفكيك النصوص الأدبية من أجل الفهم والوقوف على المعنى والدلالة والقيمة". (السعود، 2002، صفحة 36)

فالتفكيكية تقوم بالنقد للوقوف على التناقض والإخلاف وإذن تمثلت أفكار مابعد الحداثة في عقلانية التأويل والتفكيك وفلسفة الإختلاف. (السعود، 2002)

وكأن هذه التيارات مارست نقد النقد أو ما يسميه هيدغر في نقده للعقلانية التقنية طالبا الإحتكام للعقل لإيمانه نقد العقل بالعقل وهذا الموقف هو موقف من النظام السياسي الحديث برفض المسألة الديمقراطية وما تستدعيه من حل المشاكل بالمناقشة العمومية فالتقنية هي الظاهرة الجوهرية للأزمنة الحديثة وهي نسيان للكينونة (افاية، 1998، صفحة 227،228) .حسب هيدغر فهذا الأخير يلتقي مع هابرماس في أن الزمن الحديث يفتقد إلى الأصالة مع عدم إنكار هابرماس لدور التقنية في التنظيم المادي للمجتمع، مقترحا الأخلاق التواصلية في نظرية المجتمع للحد من الأداتية في شؤون التفاعل الإنساني وبهذا تجاوز هابرماس وهيدغر التقنية بإعتبارها ميتافيزيقيا جديدة، برجوع هابرماس للأخلاق التواصلية وهيدغر للفكر ماقبل السقراطي وكأن يومي الفلسفة تاريخي

مضاميني في تعلم التفلسف وفي الإنخراط في الحداثة الفلسفية التي تقرن التفلسف بالراهن وبهذا إنضم هؤلاء المفكرين إلى جانب مفكرين آخرين لتفكير في الزمن الحديث (الحاضر) مثل هيغل وبودلير ونيتشه وباطاي ولوكاتش وميرلوبونتي وقبلهم ماركس. هذا الأخير ومدرسته او تيار الماركسية كانت له الكلمة في دور الفلسفة

دور الفلسفة داخل الماركسية

اعتبر ماركس وأنجلز أن العلم والتقنية يتبعان الطاقة الإنتاجية وقد تعقب النقد الماركسي للإيديولوجيا بالنسبة للفن هدفين تصوير الوعي الزائف وإعادة بناء مضمونه العقلي (هابرماس ي.، 2002، صفحة 222). ورغم أنه اي ماركس كان هيغيليا خصوصا ماركس الشاب فالمضمون العقلي لنظام هيغل كان واضحا ينفي الجانب الإيديولوجي جملة في عبارة الوعي الفلسفي المقدمات المنطقية لتفكير فحسب ماركس فالسيطرة المطلقة للنظرية ليست مستقلة عن البراكسيس (هابرماس ي.، 2002، صفحة 222)

فالماركسية فلسفة عملية، تؤمن بالإنتاج وطاقته حتى أن الفلسفة الإشتراكية مدعوة لتحقيق الفلسفة عبر تجاوزها بتملك الطاقة الإنتاجية للتقليد الفلسفي (هابرماس ي.، 2002، صفحة 222) .

إبتعد ماكس وإنجلز عن الفلسفة مشددين على تعارض علم الاجتماع والفلسفة (هابرماس ي.، 2002، صفحة 222).

حيث إعتبر انجلز التفكير الفلسفي أقل صوابا لأن نظرية الفلسفة عملية في كونها تحقق عالم عقلي تسبقه (أي الفلسفة) حيث يحل العلم محل الفلسفة ما يعرف بالإشتراكية العلمية فالعلاقة بين الفلسفة والعلم جدلية وهنا اعطى انجلز للفلسفة دور اكثر مما اعطاه ماركس وهناك طاقة محررة بواسطة نقدية الفن لمحاربة أشكال الثقافات المضادة، فمنذ أن أصبح التطور العلمي التقني المحرك الحقيقي لتوسع القوى الإنتاجية فرضت التصورات العلموية نفسها بأكثر قوة في إحلال العلم محل الفلسفة ولقد قدم كارل كورش نقدا لهذه الوضعية ليبين أنها ظاهرة واهمة. (هابرماس ي.، 2002، صفحة 225)

عملت الوضعية على حصر الخبرة النظرية للفلسفة في المنطق والمنهجية عن طريق اللغة وتحليلها وهذا خطأ، فلايمكن توحيد الطبيعة والتاريخ وصياغتها بصورة علمية، فلقد أثارت الوضعية ردود فعل داخل الماركسية، لأن الأخذ بتوحيد منهج الدراسة على الطبيعة والتاريخ والإنسان والمجتمع فهذا هو الخطأ بعينه والإنتصار للعلم على حساب الفلسفة أكثر خطأ نرتكبه بحق الفلسفة الذاتية فسقوط فلسفات الذات لايعني إسقاط الفلسفة كما أن إقتصار الفلسفة على التحليل النقدي للغة فهذا تنميط للفلسفة وقولية ترفظها الحرية الفكرية للفلسفة ذاتها كما أن معظم الإنجازات العلمية لم تأتي بالقولية بل بالحرية والتأمل الفلسفي قبل صدور ذلك في قانون عملي.

ولهذا قيل "يجب أن تخصص مجال الفلسفة يظل خارج الخبرات العلمية يتطابق إذا رسم حد يفصل بين الفلسفة والعلوم منهج دفاعي أو هجومي فالفينومينولوجيا تعتمد موقفا دفاعيا تعبر عن الإجراءات التي تستخدمها العلوم وتهدف إلى نتائج موضوعية (هابرماس ي.، 2002، صفحة 227). فبواسطة التحليل الفينومينولوجي توجد رغبة من الإحتماء بالعلوم في نهاية الأمر وتركز الفينومينولوجيا على الحدس بفضل القوة الذاتية.

اذن تطالب الفلسفة بمكانة ومرتبة تفوق أو تعادل العلوم والمناهج العلمية فوحدة الطبيعة والتاريخ بمنهج واحد أمر غير ممكن والنقد والتأويل ضروري للفلسفة

"مادامت تطورية الفيزياء والنظرية الاجتماعية لم يعطيا نظرية عامة للطبيعة". (هابرماس ي.، 2002، صفحة 228)

تبقى الفلسفة تمارس مهمة النضال الشاقة داخل العلوم رغم الإصطدام بالنزعة الإستقرائية والتجزئية وإذا كان رافضي الفلسفة من الوضعيين وأصحاب الفهم العلموي يقللون من دور الفلسفة فإن هدف الفلسفة الكشف عن شمولية الفكر التي تكونها العلوم في المعرفة الموضوعية شمولية المبادئ التي تحكم الممارسة العقلية للحياة. (هابرماس ي.، 2002، صفحة 229)

- تبقى مهمة الفلسفة كامنة في إقامة التعارض بين التفكير النقدي الراديكالي وكل شكل للموضوعائية في مقاومة كل إستقلالية إيديولوجية وهمية كما تهاجم

الفلسفة إطلاقية فلسفة الأصل، والنظرية المحضة والفهم العلموي والوعي التكنوقراطي لنظام سياسي منفصل عن تأملاته العملية فالتفكير النقدي هو الذي يضمن وحدة العقل العملي مع النظري وهما عاملان في تشكيل الوحدة والهوية المجتمعية بشرط عدم تراجعهما إلى هوية خصوصية فبدون فلسفة لايمكننا تشكيل هذه الهوية. (هابرماس ي.، 2002، صفحة 229)

يبقى موضوع الفلسفة دائم داخل الماركسية من خلال المناقشات التي أقامها روادها بكتابتهم التاريخ والوعي الطبقي لجورج لوكاتش، والماركسية والفلسفة لكورش، والاشتراكية والديمقراطية كمقابلة لكاوتش واللينية لديبوروين، مع تواصل الجدل بعد الحرب ع2 ومأأثاره سارتر الوجودي في علاقة الوجودية بالماركسية مع أن مهمة الإشتراكية ليست التدمير الذاتي لعالم البرجوازية حسب ماركس. (هابرماس ي.، 2002، صفحة 221)

فمهمة العقل عند ماركس هي نقد الواقع وتغيير العالم وله يعود الفضل في هبوب عاصفة النقد بإعلانه بيانه الشيوعي المبكر عام 1844 عن الحاجة الى نقد قاس لكل شيء موجود كان هذا إيدانا بميلاد نظرية نقدية للمجتمع تعد نموذج لخطاب علمي إجتماعي في منتصف ق19.وجد ماركس في فلسفة هيغل مفهوم الرفع واصل هذا المفهوم قابلا للتطور والتحديد الذاتي في النظرية النقدية المعاصرة من لوكاتش حتى هابرماس. (السعود، 2002، صفحة 65)

فجديد فلسفة لوكاتش 1971\1885م هو التعامل مع معضلة الفكر والممارسة التي تمتد داخل المدرسة النقدية لمدرسة فرانكفورت وجعل هذه الثنائية مرتبطة بالمجال السياسي والإجتماعي. (السعود، 2002، صفحة 69)

وبين لوكاتش وهابرماس مسافة طويلة عبر عنها عديد الفلاسفة بذكر منهم أرنست بلوخ 1885\1977م والذي يعد " حلقة هامة في تطور الفكر النقدي حيث قدم يوتوبيا نقدية معارضة للنزعة الوضعية فالواقع الراهن في تصوره يموج بالإمكانات وبقلق الصيرورة، ولم يكتمل بعد مما يجعل اليوتوبيا حقيقة مسلما بها فقدم عقلانية تسمى العقلانية اليوتوبية، فتت بنية الواقع بإستخلاص شعاع أمل. فليس هناك خط فاصل

بين الممكن والواقع (السعود، 2002، صفحة 69،70)، ليظهر لنا بعدهم نقديوا المدرسة الفرانكفورتية التي إستندت الى روح الفلسفة الماركسية

فنجد أدرنوا قد نقد العقل ووضعه داخل السياق الاجتماعي وأثبت ان بعض المذاهب الفلسفية كالبراغماتية والوضعية قد جعلته أداة في حدمة الإنتاج الصناعي وعزلته عن مجال القيم كالعدالة والتسامح...

فيكرس إغتراب الموضوع عن الذات والعكس صحيح وترجمت العقلانية المتسلطة الى نظم شمولية متسلطة بدورها (السعود، 2002، صفحة 74)، ليؤسس أدرنو عقلانية نقدية تنتقد عقلانية الفكر الغربي الذي يزعم أعضاء النظرية النقدية مثل ماركوز أنها بدأت مع أرسطو حيث إتجه لتثبيت هوية الأشياء وتجديدها وتعريفها للسيطرة عليها. (السعود، 2002، صفحة 75)

فالعقل ينحرف أذا وظف لخدمة مصالح معينة (السعود، 2002، صفحة 76) ليأتي ماكس هوركهايمر 1973\1895

ليعيد العقل الى صوابه إذا اعترف أنه ليس عقلا مطلقا وإنما هو نسبي متغير (السعود، 2002، صفحة 76)، ويرى هوركهايمر أن مهمة العقل هي نقد ما يسمى بالعقل وعلى النظرية النقدية إستعادة المفهوم والتصور المثالي للعقل الذي يهتم بإلغاء الظلم الاجتماعي أما دور العقل حسب هاربرت ماركوز 1898\1979م فيتمثل في تفتيت بنية هذا المجتمع ومؤسساته السياسية فيوظف العقل لإخفاء اللاعقلانية في المجتمعات الصناعية وهذه اللاعقلانية تؤدي لزيادة الانتاج (السعود، 2002، صفحة 77)، ليأتي هابرماس وهو أبرز أعضاء الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت لكي تتجنب الفلسفة معه أخطاء الكانطية والجدل الشمولي الهيغلي وبهذه الإنعطافة أعطى للفلسفة قيمة تاريخية عالمية في علاقتها بالثقافة ككل. فالفلسفة حسبه " تساهم في تحليل الأسس العقلية للمعرفة والفعل والقول وهي تكتسب علاقة قوية بالكل لم تعد الفلسفة في نظرهابرماس القاضي الذي تمثل أمامه العلوم والثقافات هل الفلسفة لم تعد حارسة للعقلانية." (السعود، 2002، صفحة 80)

أوجد ماكس فيبر بناءات العقلانية مع فجر الحداثة في القرن 18 بوصفها مجالات القيم الثقافية وهذا يستدعي وصفا لا تأسيسا فلسفيا فانقسم العقل الفيبري الى ثلاثة :العلم الوضعي والمشروعية الأخلاقية والمعايير الجمالية.

ولم يعد للفلسفة دور إلا القليل وهو يرى أي هابرماس ان الإنقاذ العقلي الوحيد للتراث الفلسفي يكمن في فهم العلوم بحيث تصبح مهمة النظرية النقدية تحويل دور العقل من وظيفته المتعالية التي تحدد لكل علم مكانه الى وظيفة التفاعل والحوار مع العلوم الأخرى فأعاد تشكيل النظرية النقدية بإعادة بناء العقلانيةالاجتماعية فقدم العقلانية التواصلية في مقابل الاداتية (السعود، 2002، صفحة 81)

التي هاجمها الجيل الأول، من أصحاب النظرية النقدية، بحيث أخذ النقد عنده أبعادا أخرى فعلى العقل مراجعة ذاته ومحاكمة نتاجاته لكي لا نسقط في الأسطورة والخيال كما حدث لهيدغر.

كما نجده متأثر بماكس فيبر في عقلانيته." فقال بمجالات ثلاث مجال الوقائع الموضوعية العلمية كراهن، ومجال المعايير المشروعية كقواعد حكم، ومجال القيم والدلالة الرمزية" (السعود، 2002، صفحة 81)كرؤية نقدية تأويلية هي أساس عمل الفلسفة فأعاد هابرماس صياغة البناء العقلاني الاجتماعي بعدم اعفاله للعقلانية الأداتية مع اعتماد الأخلاق العملية في تلبية متطلبات المجتمع المادية وهذا كله حسبنا يخضع لميكانيزمات سياسية وإجتماعية مؤكدا على التفاعل الداخلي بين الذوات والتفاعل اللغوي في الحوار. ولكي نفهم العالم المعيش كيومي أو كراهن فعلى الفلسفة الى جانب العلم والتقنية أن تؤول وتفسر وتجدد صلتها بالكلية "وأن تساهم في حركة التفاعل بين الابعاد المعرفية الاداتية والممارسة الأخلاقية والتعبير الجمالي فتلعب الفلسفة دور المؤول الوسيط وتتخلى عن دور القاضي الثقافي (السعود، 2002، صفحة 82)

أكد هابرماس على الدور الكانطي والهيغلي في مشروعه الفلسفي وراء صلاحية الشروط الترانسندنتالية في تطبيقها على ميادين الفعل والتجربة والتواصل اللغوي وهي حسبه تقدم امثلة عن نجاح علاقة العلم بالفلسفة فدخلت الفلسفة حسبه في التعاون مع العلوم الإنسانية وذلك برفع الفلسفة إلى علم إنساني بإدخال التفكير الفلسفي الى

نظرية نقدية ولا تعمل الفلسفة مستقلة عن العلوم التجربية ولا تبحث نتائج العلوم ليقتصر عملها على صناعة نوع من الحوار " ووضع بعض الفروض التجريبية على المشاكل العملية مثل ممارسة الحياة اليومية كل ذلك بطابع كلي ممارسة للوظيفة الواقعية الجديدة في إطار العقلانية والحرية " (السعود، 2002، صفحة 82) مما يعني أن هابرماس لم يتخلص من الوضعية رغم نقده لها، ولم يتخلص من صناعة يومي راهن ولم يتخلص من الكلية والنسقية الفلسفية بإعتباره آخر الفلاسفة النسقيين كما يقال فيبقى الدور التأملي للفلسفة قائم في كل شكل من أشكال الحياة وهذا هو التفلسف في حاضره وواقعه الاجتماعي العقلاني فالعقل الفلسفي هنا حارس للعقلانية.

خاتمة

تخليصا للإنسان والايديولوجيا أبدل هابرماس فلسفة الذات أو الوعي بفلسفة المجتمع والتواصل وذلك بإسقاط الفلسفة على الراهن كممكن بإسقاط الكليانية كمعرفة تأملية وتأسيس معرفة مربوطة بالمصالح قائلا بالتدوات رغم نقده لفلسفة الذات ففلسفة هابرماس واقعية وإن بدت لغوية معيارية مثالية وتعريف الفلسفة رغم صعوبته إلا أننا نذهب إلى الفلاسفة الأوائل، وهي دائما تساير عصرها لأنها بحث عقلي فقدان الفلسفة لموضوعها لصالح العلوم جدد مشكلة تعريفها وصعوبته، فالفلسفة تعبير عن وضعية إجتماعية بكل وضوح فدورها إجتماعي لا ذاتي، فالنظر الفلسفي شرطه تعدد التخصصات فهي عند هابرماس فكر ما بعد ميتافيزيقي مرتبط بالزمن والحداثة والفعل التواصلي عنده عمل تأويلي يعيد بناء ماتشخصه العلوم الاجتماعية لتشكيل نظرية إجتماعية سياسية تمحص أمراض المجتمع. وذلك بالعقلنة التفاهمية اللغوية إحلالا للعقلانية التواصلية مكان فلسفة التاريخ وهنا أظهر هابرماس نسقية الفلسفة وإعطاء الدور الأكبر للعلوم الاجتماعية، وضد النزعة الوضعية ينصح بتعاون الفن والأخلاق والعلم أن يتفاعلو وأن تنفتح الفلسفة على زمنها الراهن على شرط تقاطع الفلسفة مع العلوم الاجتماعية فرهان الفلسفة تاسيسي للعقلنة كنظرية تؤدي لعقلنة تواصلية مؤكدا على نمط البرهنة لحصول التفاهم والحداثة الحالية تقوم على نظرية التواصل مع العمل على تطوير المجتمع والأنظمة وممارساتها وفي ظل صراعه مع تيارات ما بعد الحداثة

المشككة في العقل (التفكيكية، والبنيوية) فكان رهانه الآخر تحقيق التواصل والمعقولية بمعايير نوعا ما مثالية متبنيا عقلانيات تكنولوجية أداتية وتواصلية.

أما الممكن عنده محاكمة العقل في صناعته لإيديولوجيا تسيطر على الإنسان من خلال إنتقاده للعقلانية

التكنولوجية، فالممكن تفلسفيا كانطيا وهيغيليا فهابرماس فيلسوف مركب دمج بين إستراتيجيتين في تعلم الفلسفة، ولم يتناولها بل أكد دورها رغم إختلاف طرق التدريس، مؤكدا على الراهن اليومي عن طريق العالم المعاش والفضاء اليومي وبعيدا عن اليومي فإن هابرماس يدعو إلى التمكين للفلسفة في عقلانيتها وتاريخها وحداثتها وتنويرها ففي عقلانيته التواصلية يظهر العمل النسقي ودور الفلسفة في تفكيرها في حاضرها وهي منفتحة على مجالات معرفية لسانية علم اجتماع ونفس وسياسية، فالحقيقة رهان جماعي فالممارسة العقلية عقلا يتجسد في التاريخ والمجتمع والجسد واللغة فدور الفلسفة حسبه توسطي بين العالم المعيش والثقافات المتخصصة مع أنه يصر على دور الفرد في إعطاء الفلسفة معناها مثله مثل الفرانكفورتيين متبرما من الإرادة الكليانية لأنها تؤدي إلى الشمولية الإستبدادية السياسية. فدور الفلسفة إنخراط في العالم الاجتماعي وهي في علاقة مع العلوم الإنسانية وتاريخ العلم وفلسفة اللغة واللغويات التجربية.

والممكن التواصلي هذا يصلح للمجتمعات المعقلنة فقط وليست لمجتمعات لم تدخل الحداثة بعد مثل مجتمعاتنا. فإقترح هابرماس الأخلاق التواصلية وأصر على دور التقنية في تنظيم المجتمع ماديا وبإعتباره ماركسيا المنهج وقريبا من النزعة الوضعية رغم إنتقاده لهما فإنه رآى أن توحيد منهج الدراسة على الطبيعة والتاريخ والإنسان والمجتمع أكبر خطأ، والإنتصار للعلم أكبر خطأ نرتكبه بحق الفلسفة الذاتية. فإسقاط هابرماس لفلسفة الذات لا يعنى إسقاط الفلسفة، فمجال الفلسفة يجب أن يكون خارج الخبرات العلمية دوما وهذا ما جسدته الفينومينولوجيا.

ومهمة الفلسفة الشاقة النضال داخل العلوم للكشف عن شمولية الفكر التي تحكم الممارسة العقلية للحياة ككل.

قائمة المراجع

بيار مالك. (2016). الفلسفة وتعليمها. بيروت، لبنان، ط1، دار النهضة العربية.

عطيات أبو السعود. (2002). الحصاد الفلسفي في القرن العشرين. مصر: منشأة المعارف الإسكندرية .

علي عبود المحمداوي. (2015). الإشكالية السياسية للحداثة، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل . بيروت، لبنان: منشورات ضفاف، دار ومكتبة عدنان.

محمد نور الدين أفاية. (1998). الحداثة والتواصل في الفلسفة المعاصرة نموذج هابرماس. افريقيا الشرق المغرب.

مصطفى حسنية. (2012). المعجم الفلسفي. عمان، الأردن: دار اسامة لنشر والتوزيع .

نادر، فاطمة. (2014). الراهن والمعيش اليومي العربي: مقدمات فلسفة من أجل إنسان متحرر. مجلة دراسات، صفحة 752.

يورغان هابرماس. (2002). بعد ماركس ، ترجمة محمد ميلاد. دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية .

يورغن هابرماس. (2019)،(د.س). الاخلاق والتواصل. بيروت، لبنان: المكتبة الفلسفية دار الفارابي.